الأهداف الإجرائية:

- أن يتعرف الطالب على دور المستشرقين في الصناعة المعجمية.
- أن يدرك الطالب م مجموعة نماذج للصناعة المعجمية عند المستشرقين.

الصناعة المعجميّة عند الغرب

في ميدان صناعة المعاجم كان للمستشرقين نشاطٌ واضحٌ فيه، أسهموا في صناعة المعجم العربيّ، فصدرت أعدادٌ منه مع اختلافٍ بينها في مناهجها وأغراضها وأسسها، ولم تكن كلّها في مستوى واحد من الجودة والإتقان، فمنها ما فقدَ قيمته، فلم يلقَ قبولاً عند متلقّيه، ومنها ما بقي زمناً طويلاً أساساً من أسس المعاجم لديهم، ومنها ما أصبح نادرَ الوجود، وسأذكر عدداً منها لبيان قِدَم التأليف لديهم، أمّا ما سأدرس منهجه فسأفصّل الحديث عنه.

من معاجمهم التي لم يعد لها قيمة لديهم، ولم يمثّل نظريّةً واضحةً في صناعة المعجم ما يلي:

- **المعجم العربيّ اللاتيني**[1]

[1] تاريخ حركة الاستشراق ص 19-21، موسوعة المستشرقين ص 386-387

مجهول المؤلّف، والراجح أنّه صدر في الأندلس، ورأى يوهان فوك أنّ أحد الرهبان وضع خطّته ليكون عوناً لهم في تنصير المسلمين.

وهو ترجمة لملحق لغويّ لأحد المعاجم المستعملة في ذلك الوقت، وتدلّ طبيعة الترجمة عن أنّها أُعدّت من قبل رجل يتحدّث العربيّة، قد يكون أحد المستشرقين، أو نصرانيّاً عاش في ظلّ الحضارة العربيّة.

ومنهجُه ذكرُ المرادفات العربيّة للكلمة اللاتينيّة، وعكسها بذكر المرادفات اللاتينيّة للكلمة العربيّة، وقد يكتفي بذكر ترجمة الكلمة، ولاحظ عليه فوك عدداً من أخطاء الترجمة، ورأى أنّ هذه الأخطاء والعيوب سبب في ضعف قيمته.

· معجم عربي لاتيني ولاتيني عربي:

هو مثل السابق مجهول المؤلّف، نشره (شيابارِيلي) عام 1874م.

ومال فوك إلى صدوره من الطوائف التنصيريّة في الأندلس في القرن الثالث عشر الميلادي، أمّا رينهارت دوزي فمال إلى أنّ مصنفه المنصّر رايمون مارتان، وهو من علماء اللاهوت والمستشرقين في قطلونيا، ألّفه للاستعانة به على تنصير المسلمين، ورجّح زمن تأليفه في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، واستدلّ في ترجيح كونها من مخطوطات القرن الثالث عشر بشكل الخطّ، وذكر أنّ المستشرق رايت وافقه على رأيه.

وهو قسمان : **عربيّ لاتيني**، يتكوّن من ثمانية آلاف كلمة عربيّة .**لاتيني عربيّ**، يذكر فيه تحت الكلمة اللاتينيّة مرادفات قد يتجاوز عددها اثنتي عشرة كلمة مرادفة، ويذكر مع الاسم جمعه، وصيغ الفعل المبني للمعلوم والمجهول.

وتناول الفروق بين الاستعمالات اللغويّة الإسلاميّة والنصرانيّة في بعض الأحيان.

والغالب على المعجم ذكر لغة الحياة اليوميّة التي يحتاج إليها المنصّر للتعامل مع المسلم، ولذا فالمعجم يشتمل على العاميّة العربيّة الجارية على ألسنة المثقفين في القرن الثالث عشر في الأندلس.[2]

أسس المعجم عند الغرب:

سبق استعراض بعض الاتّجاهات المختلفة في صناعة المعجم من خلال ذكر أشهر المستشرقين الذين أسهموا في صناعة المعجم العربيّ، ويحسن هنا استنباط الأسس التي كانوا يرتكزون عليها في صناعة المعجم العربيّ، فعند الاطّلاع على أعمالهم المعجميّة لمعرفة أسس المعجم لديهم نلمح مايلي:

مادّة المعجم:

لاختلاف نظرة المستشرقين إلى اللغة دور في اختلاف معاجمهم، من حيث المادّة المعجميّة وما تشتمل عليه من مستويات الكلام، سواءً كان فصيحاً أو غير فصيح.

ولم يكن المستشرقون على منوال واحد في النظرة إلى اللغة، فقد كان منهم من اقتصر في معجمه على الفصيح دون غيره، فحذا حذو المعجميّين القدماء من العرب، وترجم ما في معاجمهم، مع إعادة ترتيبها على الحرف الأوّل [3]، ومنهم من نظر إلى اللغة على أنّها كائن حيّ لا فرق فيها بين مستويات الكلام.

وكان أغلب من سلك ذلك المسلك المستشرقون الأوائل أمثال جوليوس وفريتاج ولين ومن تبعهم.

---

[2] تاريخ حركة الاستشراق ص 32-34، موسوعة المستشرقين ص 288-294.

[3] أشار المستشرق الفرنسي شارل بلاّ إلى أن المعاجم العربية التي رتّبت على الحرف الأخير، مثل الصحاح ولسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس هي مصادر المستشرقين الذين اكتفوا – عند إعدادهم معاجم ثنائية اللغة – بإعادة تبويبها بحسب الحرف الأوّل، دون الفصل بين المشتقات.

ومادّة معاجم المستشرقين – المتأخرين خاصّة – لا تتخذ معيار الفصاحة شرطاً لها، وإنما تهتمّ باللغة الحيّة سواءً كانت عاميّة أم فصحى، إلى جانب الفصحى القديمة، ولعدم اشتراطهم فصاحة مادّة المعجم فالمطلع على معاجمهم يجد فيها أصناف الألفاظ من عاميّ ومولّد ودخيل وغيره، بل إنّ عناية كثير منهم باللغة الحيّة أكثر من عنايتهم باللغة الفصيحة، وممن سلك ذلك المسلك – وقد سبق ذكره – رينهارت دوزي، حيث ذهب إلى أنّ الفصحى لم تعش إلاّ قرنين من الزمان، ولذا شحن معجمه بتلك الأصناف من الألفاظ.

إنّ اتّجاههم نابع من نظرتهم إلى اللغة أيّة لغة، فهم رأوا أنّها تتطوّر عبر تاريخها، قياساً على نظرتهم إلى لغاتهم.

المعجم في نظر ماسينيون:

ألقى ماسينيون أربعين محاضرة في لفلسفة على طلابه في الجامعة المصريّة القديمة، وحاول فيها وضع منهج لمعجمٍ للصطلحات الفلسفيّة، وفي محاضراته كشف عن نظرته حول صناعة المعجم، مع أنّه لم يكن
له اتّجاه لغويّ خاصّ، فلم يكن لغويّاً، وإنما كان متعمّقاً في الفلسفة، يستعين اللغة في دراساته، ولذا لم يعبّر في محاضراته عن توجّه خاصّ في صناعة المعجم، دلّ على نظرةٍ نحو الفصحى مثل ما عرفناه عند دوزي أو فيشر أو لين.

وقد سعى ماسينيون في محاضراته إلى جمع لك المصطلحات دون التقيّد بعصر ومكان معيّنين، ولعدم تقيده بمستوى لغويّ محدّد ذهب إلى أنّ صنع معجم للاصطلاحات الفلسفيّة سهل، فما علينا إلاّ استعمال المعاجم الخاصّة بمفردات اللغة الفلسفيّة، واستخراج المصطلحات منها ثمّ ترتيبها على حروف المعجم.

ولأنّ الفلسفة في مجملها تحوي معاني لم يعرف العرب أكثرها، بل غالبها منقولة من لغات أخرى للفلسفة فيها نصيب كبير، لذا لم يكن غريباً رجوع ماسينيون في بيان المعنى الاصطلاحي إلى الفلسفة اليونانيّة لأنّها الأصل فيه.

أبان عن طريقته في معالجة ألفاظ معجمه على النحو التالي:

-1يبدأ ببيان المعنى اللغويّ الأصلي في العربيّة.

-2ثمّ الأصل اليوناني لأنّه هو الأساس هنا.

-3ثمّ بيان الترجمة من العربيّة إلى اللاتينيّة لبيان المعنى السائد في أوربّا.

وعمله هنا يدلّ على اهتمامه بالمعنى اللغويّ العربيّ لأنّه الأصل، مع اهتمامه بالمعنى الاصطلاحي، وهو دلالة جديدة شاع استعمالها بعد المعنى اللغويّ العربيّ، وبيان هذه الدلالة هو الهدف من وضع هذا
المعجم.

ونخلص من هذا إلى عدم اقتصار ماسينيون على اللغة الفصحى دون غيرها، وإنما كانت نظرته إلى اللغة على أنّها تحوي ما استعمله أهلها، دون التفرقة بين قديم وحديث، ولا تبعد نظرته تلك عن نظرة دوزي،
إلاّ أنّ دوزي كانت الألفاظ العربيّة جميعها ميداناً لعمله، أمّا ماسينيون فكان ميدان عمله الفلسفة، وهو ميدان محدّد في معانيه وألفاظه.[4]

المعجم في نظر فيشر:

يعدّ أوجست فيشر من أبرز المستشرقين في ميدان صناعة المعجم، وأقواهم أثراً فيه، وكانت جهوده المعجميّة معتمدة على أسسٍ واضحة لديه، تنطلق من اتّجاهٍ يؤمن به في ميدان المعجم.

---

[4] محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية – ماسينيون ص 11-13، 33

ولكي نعرف اتّجاهه في هذا الميدان يحسن أنْ نعرف نظريّته التي دعا إليها، ثمّ نتعرف تطبيقَه لها في معجمه.

خاتمة:

اعتماد المستشرقين على النصوص الأصلية في الكتب العربية المختلفة – للاستشهاد على المعاني – لا على المعاجم العربية، وقد اتّضح لدينا هذا عند دراسة معجمي دوزي وفيشر، حيث رجعا إلى كتب النصوص ككتب التاريخ والرحلات والأدب وغيره، ولم يرجعا إلى المعاجم العربية إلاّ في مواضع قليلة .

–اعتنى المستشرقون عناية جليّة بصناعة المعجم العربي لإدراكهم بأنه مفتاح اللغة، حيث سعوا إلى تعلّم العربية وتيسير تعلّمها بوضع معاجم ثنائيّة، بالعربية ولغات واضعيها، واستفادوا من النظريات المعجمية في صناعة المعاجم في لغاتهم.

- –في ميدان الصناعة المعجمية العربية تبدو أهمية الاطّلاع على جهود المستشرقين فيه، حيث نال قدراً كبيراً من الاهتمام في لغاتهم، ثمّ نقلوه لتطبيقه على العربية.
- –عند الموازنة بين الدراسات حول صناعة المعجم لدينا والدراسات لديهم يظهر افتقارنا إلى دراسات متخصّصة تتّجه هذا الاتّجاه، لا لدراسة المعاجم القديمة ومعرفة مدارسها فحسب، وإنما لمعرفة النظريّات
التي اعتمد عليها واضعوها، لمعرفة محاسنها وعيوبها، للاستفادة منها في صناعة المعجم في العصر الحاضر.